التحايا

تفريغ

أسباب النصر

للشيخ عطية الله الليبي

التحايا للإعلام الجهادي
قسم التفريغ
١٤٣٦ هـ ٢٠١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

أسباب النصر

للشيخ/ عطية الله الليبي (رحمه الله)

مُؤسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

نتحدث عن موضوع لعله يكون خاتمة في مواضيعنا، وهو موضوع مهم يعني له أهمية لا بأس أن نتذاكر فيه ونتناقش فيه ونتحاور ونتأمل ونتدبر، وهو موضوع (**أسباب الانتصار على العدو، الغَلَبة على الأعداء**)

نحن نعلم أن الله -سبحانه وتعالى- أمرنا وكلَّفَنا بأن نجتهد ونسعى ونحاول أن نغلب العدو، الغلبة على العدو والانتصار عليه أن تكون الكلمة لأهل الإسلام، والحكم لأهل الإسلام، والدولة لأهل الإسلام، والسلطان والأمر والنفوذ لأهل الإسلام، هذا نحن مأمورون به، بتحصيله، فالله أمرنا بالغلبة على العدو، بالانتصار عليه، هذا مطلوب، ما أسبابه القدرية والشرعية؟ نتحدث فيها ونذكِّر بها.

لماذا أنا أقول هذا الكلام؟ لأن بعض الناس يفهم فهمًا خاطئًا يعني يتوهم، يقول: نحن علينا أن نجاهد ونقاتل وليس علينا النتيجة!

هذا الكلام له مَحْمَلٌ صحيح، وله مَحْمَلٌ خطأ يقع فيه بعض الناس، يعني يُحمَل على وجه صحيح يكون يُفهم على معنى صحيح، يعني يكون له معنى صحيح، وله معنى آخر خطأ.

المعنى الصحيح قول القائل: نحن علينا أن نجاهد ونقاتل وليس علينا النتيجة.

له وجه صحيح، وجهه الصحيح ماذا؟ يعني أننا سواء غلَبنا وانتصرنا ونجحنا أو لم ننتصر ولم نغلِب فهذا فعلُ الله -سبحانه وتعالى-، وهذا مربوط بقدر الله -عز وجل- وقضائه ولا طاقة لنا به، إنما نحن يجب علينا أن نفعل الأسباب الممكنة وأن نأخذ بالأسباب وأن نجاهد كما أمرنا الله -عز وجل- ولكن النتيجة هي بيد الله، هذا كلام صحيح، هذا وجه صحيح.

لكن المعنى الخطأ، الوجه الخطأ أن يُقصَد بهذا الكلام أننا لا نجتهد ولا نسعى ولا نحاول أن نغلب العدو، أن ننتصر عليه، بعض الناس يقول لك: أنا أجاهد فقط.

تقول له: طيب الجهاد ليس هكذا! لازم تفعل كذا وكذا وكذا وترتيبات مُعيَّنة وأسباب مُعيَّنة لازم تفعلها حتى تنتصر على العدو.

يقول: ليس مهمًا النصر، أنا أجاهد فقط، النتيجة على الله.

نعم، النتيجة على الله لكن بالأسباب، الله –سبحانه وتعالى– كما ذكرْنا سابقًا جعل لكل شيءٍ أسبابًا، وأمرنا بالأخذ بهذه الأسباب؛ حتى نتحَصَّل على هذه النتيجة، فنحن يجب علينا أن نسير على الأسباب بعد ذلك نُفوِّض إلى الله، الله يعطينا النصر أو لا يعطينا، النصر من عند الله وحده ولكن علينا أن نبذل الأسباب ونأخذ بالأسباب ثم نقول: النتيجة على الله.

وعلينا أن نجتهد في أن ننتصر على العدو ونغلب العدو ونقهر العدو وتكون لنا نحن السلطة، هذا يجب علينا أن نجتهد فيه ونسعى له.

يعني بعد الأخذ بالأسباب واستفراغ الوسع في تحصيل النصر والسعي لتحصيل النصر نقول النتيجة على الله، النصر يتجزَّأ يعني، ممكن يكون النصر كاملًا يعطيه الله –سبحانه– لمن يشاء، وممكن يعطيه بعض النصر ويحرمه من بعضه.

الله –عز وجل– يعطي الناس –العباد– النصر على قدر أخذهم بأسباب النصر التي سنتكلم عنها.

وهذه الصورة هي الصورة التي يقصدها الإنسان دائمًا عندما يتكلم عن النصر أو عندما يسأل الله النصر، فالغالب الناس يقصدون هذه الصورة وهذا المظهر من مظاهر النصر، يقصدون ماذا؟: اللهم انصرنا، اللهم انصر المؤمنين. يعني يعطيهم الغلبة على الأعداء والتمكين في الأرض والقوة والسلطان وتكون يدهم هي العليا، هذا الأمر غالب يعني.

لكن ممكن إنسان ما يعطيه الله –سبحانه وتعالى– هذه الصورة مثلًا، لكن يعطيه الشهادة والفوز في الآخرة، الفوز الأخروي، هذا أعظم النصر وإن كان نصر مؤجَّل ليس نصرًا مُعجَّلًا الآن، لكن في ضمنه نصرٌ مُعَجَّل –سأتكلم عليه في النقطة الأخرى– لكن هو في غالبه منظورٌ فيه إلى الآجل، إلى العاقبة، الشهادة والفوز في الآخرة، والفوز الأخروي والنجاح.

الثبات على الدين والحق والمبادئ، الثبات، كَوْن الإنسان مع الصراع مع الفتنة، كَوْن الإنسان على طول طريق الصراع والحرب والفتنة ومكر الأعداء وغيرها هو ثابتٌ على دينه، ثابتٌ على الحق، ثابتٌ على مبدئه، مبادئ الحق، مبادئ

العدل والفضل والإحسان، هذا هو في حد ذاته نصر ومعنى من معاني النصر، وجوده واستمراره ثابتًا على هذا الدين، انتصار دعوة الإنسان، دعوة العبد المؤمن، انتصار دعوته ومبدئه وظهورها، كارتفاعها وعلو كلمتها في الناس وانتشارها في الناس هذا نوع من الانتصار.

ولهذا قالوا في الغلام، الغلام صاحب الملك، الغلام صاحب الساحر والكاهن، الغلام الذي دلَّ الملك على كيفية قتله وجعل هذه الكيفية سببًا لإيمان الناس فآمَن الناس لـمَّا قال له: لن تستطيع أن تقتلني إلا أن تأخذ السهم وتقول بسم الله ربِّ الغلام. ففعل، والملك هذا كان يقول: أنا الله! الملك كان يدَّعي الألوهية، فقال أنت ما تستطيع أن تقتلني يعني إلا أن تعترف بربوبية الله وتلجأ إلى الله وتُعظِّم الله. فهذا فيه اعتراف بأنه عبدٌ حقير ليس ربًا.

في النهاية عَمِل بما قاله له وأخذ السهم وقال: بسم الله رب الغلام. فرماهُ فقتلهُ

فقال الناس: آمنَّا برب الغلام.

فآمن الناس، فخَدَّ لهم الأخاديد وقتلهم بالنار بعد ذلك، ولكن انتشرت دعوة الإنسان وانتشرت كلمته التي هي كلمة الحق وظهرت وآمن بها الناس وصار الناس مؤمنين، الناس هكذا بالإطلاق دلالة على الكثرة الغالبة.

هو رزقه الشهادة الله –سبحانه وتعالى– وفازت وانتصرَت دعوته ومبدؤه وظهرت وانتشرت، ونحن ما نريد إلا انتصار الحق وانتصار دين الله –سبحانه وتعالى–، فإذن هذا نوع من الانتصار.

وقد يجمع الله –سبحانه وتعالى– للعبد بعض هذه المظاهر والصور من النصر أو كلها ففضل الله يؤتيه من يشاء، وقد يعطيه بعضها، قد يعطيه مثلًا أنه ثَبَت على الدين والحق ثم مات مثلًا لم يُرزق حتى الشهادة! لكنه مات على الحق، فهذا نوع من الشهادة وإن كان ليست الكاملة مثلًا ولكن لا بأس قريبٌ منها، وفضل الله يؤتيه من يشاء، وهكذا يعني أنواع.

لكن في الغالب بالنسبة للمؤمن أنه يُحصِّل على بعضها كلها، طبعًا ليس شيئًا قليلًا منها، حصل على كثير منها، يتحصَّل المؤمن في الغالب على كثير منها، إن لم يَتحصَّل على الشهادة فيموت على طريق الحق فالفوز الأخروي مضمون له وإن كان ليس في أعلى درجات الشهادة ربما لكنه مضمونٌ له، الفوز الأخروي هذا معنى أعم من الشهادة، والثبات على الدين والاستمرار عليه هذا في الغالب مضمون للعبد المؤمن الذي يثبت على الدين، نفس

الثبات على الدين هو نصر، هو انتصار، وانتصار الدعوة في الغالب أيضًا للمؤمنين حاصلة، وإن كانت أحيانًا قد تَخبو الدعوة مراحل مُعيَّنة في بعض الفترات ثم يظهرها الله -سبحانه وتعالى- على أيدي بعض خلقه من جديد مرة أخرى وهكذا، لكن في الغالب تحصل هذه يعني.

السبب الجامع لأسباب النصر هو المذكور في هذه الآية، عندنا آية في القرآن آية مُجمَلَة جامعة، الفاذَّة التي جمعَت أسباب النصر كلها يعني لم تترك شيئًا، وهي قوله -تعالى- في سورة محمد ﷺ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} هذا الجواب.

"إن" هذه شرطية، "تنصروا الله" هذا فعل الشرط، "تنصروا" فعل الشرط مجزوم محذوف النون؛ لأنه مجزوم بـ"إن" الشرطية، جواب الشرط أو الجزاء، يسمى الجواب أو الجزاء "ينصركمْ" مجزوم وعلامة جزمه السكون؛ لأنه فعلٌ صحيح غير مُعتَلّ.

"ينصركم" وعطَف عليه "يُثبت" {وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} هذا السبب الجُمْلي الإجمالي العام، أجملَتْه هذه الآية، أجملَتْ جميع الأسباب، كل ما سوف نتحدث عنه من أسباب للانتصار والغلبة على الأعداء داخلٌ تحت هذا المعنى، داخل تحت معنى هذه الآية.

{إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ} فبيَّن الله -سبحانه وتعالى- لنا في هذه الآية أنه إذا نَصَرْنا الله، فإن الله ينصرنا ويثبت أقدامنا، ومن معنى ذلك أنه بحسب وعلى قدر نصرتنا لله -عز وجل- الله ينصرنا ويثبت أقدامنا، إن نصرناهُ قليلًا بحسَبِه، وإن نصرناه نصرًا كاملًا فبحسَبِه النصر وتثبيت الأقدام.

ما معنى {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ}؟ تنصروه يعني: تنصروا دينه، أي: تكونوا معه في صَفِّه وفي حَدِّهِ، تنصروا دينه وتكونوا أولياءه، تنصروه بطاعتكم له وبعبادتكم وتوحيدكم لله -سبحانه وتعالى- وبقيامكم بأمر الله -سبحانه وتعالى- ظاهرًا وباطنًا، هذا معنى نصر الله -سبحانه وتعالى- فبحسبه ينصرنا الله ويثبت أقدامنا.

وقريبٌ منها قوله -تعالى- في سورة الحج: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ}

{وَلَيَنْصُرَنَّ} اللام هذي لام التوكيد، التي يسمونها اللام الموطِّئة للقَسَم، في الحقيقة هي تأتي بعد قَسَم، كيف؟ فيه قسم مُقَدَّر يعني كأن الله –سبحانه وتعالى– يُقسِم ويقول: والله –مثلًا– لينصرنَّ الله من يَنصره. ففيها توكيد شديد، {وَلَيَنْصُرَنَّ} يُقسم الله –سبحانه وتعالى– أنه ينصر من يَنصره، الله –عز وجل– ينصر من ينصره، نصر الله –سبحانه وتعالى– هو ماذا؟ الكَوْنُ مع الله بعبادته وحده لا شريك له والعمل بطاعته ونصرة دينه والكون مع أوليائة ونصرة أوليائه وشريعته وهكذا.

القرآن ورد فيه آيات متعددة تُبيِّن فيه معنى نصرة الله –عز وجل–، تُبيِّن معنى {إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ} ما معناها يعني، في آيات كثيرة يمكن أن نقرأ بعضها، منها قوله –تعالى– في سورة الأعراف: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} التعزير: بمعنى التعظيم، الاحترام البالغ والتعظيم.

هذا مما يُبيِّن النصر، أنه اتباع للنبي ﷺ وتعزيره وتعظيمه من هذا السياق، يُذكَر من هذه الألفاظ، فمثلًا قال الله –تعالى–: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ}

كونوا أنصار الله، عيسى –عليه السلام– قال لبني إسرائيل عمومًا، {قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ} ونصروا الله فعلًا.

الله –سبحانه وتعالى– يضرب لنا بهم مثلًا فيقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ} مثل الحواريين عندما نصروا عيسى ابن مريم وآمنوا به واتَّبَعوه وعزَّروه وعَظَّموه واحترَموه ونصروا دينه ودعوته، فهذا معنى نصر الله –سبحانه وتعالى–.

قال الله –تعالى– في سورة الحديد: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}

الله –سبحانه وتعالى– أخبرَنا أنه أنزل هذه الأشياء، أنزل الكتاب والميزان؛ لأجل ماذا؟ ليقوم الناس بالقسط، وأنه أنزل الحديد قال: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ} الذي تُصنَع منه هذه الآلات

{فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} الحرب وآلات الحرب

{وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} كثيرة لا يعلمها إلا الله.

وايضًا من جملة الحِكَم في إنزاله وخلْق الله إياه لنا وتسخيره لنا {وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ} فنصرة الله –سبحانه وتعالى– المقصودة هنا نصرته بالجهاد في سبيل الله.

ويقول الله –سبحانه وتعالى– في سورة الحشر في شأن المهاجرين في سبيل الله أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والعشرة المبشرون بالجنة وغيرهم من المهاجرين في سبيل الله: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}

فهؤلاء المهاجرون الذي هاجروا مع النبي ﷺ ونصروا الله ورسوله، الله –سبحانه وتعالى– يقول: {أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ}

كيف كانت نصرتهم لله ورسوله؟ باتباعهم لرسول الله ﷺ وكَوْنِهم معه، وبولائهم له وللمؤمنين ولدين الله –سبحانه وتعالى– ووقوفهم مع الله –عز وجل– ومع رسوله ومع المؤمنين باتِّباعهم لدين الله، عملهم بطاعة الله –عز وجل– وثباتهم على هذا الدين وهجرتهم وجهادهم في سبيل الله وصبرهم، هذا هو نصرهم لله –عز وجل–

فالله –عز وجل– أخبر عنهم بأنهم ينصرون الله ورسوله.

وفي آية الحج هذه {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ* الَّذِينَ} "الذين" هذه إما بيانٌ وإما بدلٌ لـ"مَن"، "مَن" هذه اسم موصول.

{وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ} كأنه قال: ولينصرن الله الذين ينصرونه الذين إن مكَّناهم في الأرض.

فهي إما بدلٌ منها أو بيانٌ لها.

{وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} هذا تذييل مثل الاعتراض، جملة مُعترِضة، بعدين قال: {الذين} فبَيَّن "مَن" هذه، {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ}

فبيَّنَ من هم الذين ينصرهم؟ هؤلاء الذين إن مكَّناهم، الذين لو قُدِّر لهم التمكين، لو قُدِّر أن الله مكَّنهم في الأرض فماذا يفعلون؟ يشربون خمر؟ يأتوا بالموسيقا والصور والبنات؟ هاه؟!

لا، {الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ} وفعلوا المقصود، يعني هذا اكتفاء، يسمونه اكتفاء، الله -سبحانه وتعالى- يذكر بعض ما يكفي، فهمت كيف؟

والمقصود: عِملوا بطاعة الله -سبحانه وتعالى- ومكَّنوا لدين الله -عز وجل- هذا المقصود، أقاموا الدين.

فهذا -يا إخواننا- على وجه الإجمال، مُجمَل يعني بدون دخول في التفاصيل الدقيقة، هذا على وجه الإجمال وهذا يكفي للعبد المؤمن، ومع هذا الشريعة جاءت بأسباب كثيرة تفصيلية إما عن طريق النص وإما ما يُستَنبَط منها ويؤخَذ من نصوصها العامة وظواهر نصوصها وهكذا.

ومن أجل الاستذكار وتفهيم المسائل تكون أمام الإنسان، أمام عقله يعني واضحة، نذكر بعض التفاصيل بعد الإجمال.

فأول أسباب النصر على التفصيل يعني:-

- أن نكون نحن المجاهدين في سبيل الله حقًّا، أن نحقق الجهاد في سبيل الله لا مجرد دعوة باللسان ونقول نجاهد في سبيل الله ونحن نلعب، ونحن نجاهد من أجل أهوائنا! لا، أن نكون مجاهدين في سبيل الله حقًّا.

سبيل الله، طريق الله له حدَّان، ما هما؟

- موافقة الشريعة، هذا هو المقصود في سبيل الله.

- صحة الاعتقاد والتوحيد لله -سبحانه وتعالى- التقوى والعمل الصالح، لأن السبب الثاني هو صحة الاعتقاد، لا بد أن يكون اعتقاداتنا صحيحة، أعمال القلوب صحيحة، تصوُّراتنا صحيحة، أن نعتقد في الله -عز وجل- الاعتقاد

الصحيح، ونعرف أسماء الله الحسنى وصفاته العليا وما يليق بالله –عز وجل– من التعظيم وما يليق في ذِكْره، وفي تصورنا له –لله سبحانه وتعالى–، ما يليق أن نعتقده فيه من الأسماء والصفات، وكذلك التوحيد لله –سبحانه وتعالى– نوحد الله –سبحانه وتعالى– في جميع الأعمال ليس بالأعمال الظاهرة فقط، وإنما بالباطنة.

أن نوحد الله –سبحانه وتعالى– في أن نخافه ونخشاه وأن نَرهَبَهُ وأن نتقيه، ونتقي عذابه وسخطه وغضبه، أن نحب الله –سبحانه وتعالى– أكثر من محبتنا لكل شيء، لأي شيء، وما نحبه من الأشياء نجعل محبته تابعة لمحبتنا لله، وهكذا هي أعمال القلوب.

وكذلك التقوى والعمل الصالح سواءً كان الظاهر والباطن، يدخل تحت هذا، تحت صحة الاعتقاد والتوحيد لله – سبحانه وتعالى– يدخل تحته أن نعتقد أن النصر من عند الله وحده، قال الله –تعالى–: {وَمَا النصر إِلاَّ مِنْ عِندِ الله الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} {وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ} ونعتقد أن النصر لا يملكه إلا الله، ولا يعطيه إلا الله، لا بأسبابنا ولا بقوتنا، ولا بحولنا ولا بذكائنا، ولا بمهارة ولكن هو من عند الله وحده لا شريك له {وَمَا النصر إِلاَّ مِنْ عِندِ الله}.

– الله –سبحانه وتعالى– عندما أيَّدَ المسلمين الصحابة المجاهدين في سبيل الله مع رسول الله ﷺ عندما أيَّدهم بالملائكة ومدهم بمددٍ من الملائكة –تصوَّر! من ملائكة، واحد فقط يكفي– ولكن مع هذا مدهم الله –سبحانه وتعالى– بألفٍ من الملائكة مُردِفين في بدر، وكذلك في أُحد ما أمدَّهم بالملائكة وقال: {بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ} مدهم بالملائكة قال لهم ماذا؟ النصر مش بالملائكة، أنا أستطيع أن أنصركم بدون ملائكة أصلًا، انتصروا تنتصروا، كُن فيكون، ولكن ماذا؟ قال: {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ} تطمئن القلوب، وتفرح وتُسر ويحصل لكم السرور والبِشر، فهذا من نعمة الله –سبحانه وتعالى– ولطفه وإحسانه ورحمته بخلقه وبعباده المؤمنين.

ولكن النصر لا، وما النصر إلا من عند الله وحده لا شريك له، فلا بد أن نعتقد هذا.

والخلق كلهم خلق الله، والمِلك كله مُلك الله –سبحانه وتعالى– ولا يقع في ملك الله إلا ما يريد الله وإلا ما يأذن الله به، ومن جملته إعطاء النصر لمن يريد –عز وجل– ولهذا الله –سبحانه وتعالى– قال ماذا؟ {كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ}.

وقال أيضًا في قصة طالوت وجالوت: { وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ..} بدون إذن الله لا تهزم شيئًا ولا تستطيع أيها العبد أن تنتصر {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ}

النصر بإذن الله ومعنى إيش؟ من عند الله، ولهذا علينا أن نتوكل على الله وحده، توكل على الله، ونثق في الله ونحسن الظن بالله ونطلب النصر من عند الله وحده، وندعوا الله –سبحانه وتعالى– ونلح في الدعاء على الله –عز وجل– لا نطلب النصر من غير الله، ونوكِّل الله –عز وجل– في كل أمورنا، هذا معنى التوكل.

– التوكل: أن تفوض أمورك إلى الله –سبحانه وتعالى– وتوكله وتتخذه وكيلًا كما قال الله –سبحانه وتعالى–: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} اتخذه وكيلًا في كل أمورك وكِّله أمورك معروف معناه، أنا الآن عندي مال –مثلًا– أريد أن أعمل مشروع فآتي إلى هذا الأخ أقول له: خذ هذه الفلوس وكَّلتك تفعل لي كذا وكذا.

أو أريد أشتري سيارة مثلًا، فأقول: خذ هذه الفلوس أنت تشتري لنا بينجو[1] جيد، أن تذهب إلى السوق تشتري بينجو.

هو هذا وكيل، أنا اتخذته وكيلًا في هذا الأمر، وكَّلته أمري، لماذا وكلته أمري؟ لأنني أثق فيه، لأنني أعلم أنه يفعل لي الشيء الصالح، لأني أثق فيه وأعلم أنه لا يخدعني ولا يخونني وأنه يريد لي الخير ويريد لي الصلاح، ولأنني أثق في قدرته هل أذهب لواحد جاهل أقول له اشترِ لي سيارة؟ أنا جئت لهذا الرجل، لماذا؟ لأنني أعرف أنه يعلم كيف يشتري السيارة، هو ماهرٌ عليمٌ يعرف كيف يشتريها ويشتري الشيء الجيد، وهو يريد الخير لي فأنا وكَّلته في أمري.

الله –سبحانه وتعالى– يقول: يا مؤمنين، يا ناس، اتخذوا الله وكيلًا، اتخذِ الله وكيلًا، توكل على الله وكِّل أمورك لرب العزة –سبحانه وتعالى– الحي الذي لا يموت، فتوكل على الحي الذي لا يموت، وقادر لا يعلو قدرته أي نقص، ويريد بك الخير، يريد بعبده الخير ولا يُعجزه شيء، ولا يعزب عنه مثقال في السماوات والأرض، له الكمال والجلال والجمال المطلق –الله عز وجل– فاتخِذ الله وكيلًا، توكل عليه في كل أمورك وفوِّض إليه كل أمورك فهو يقضيها لك، هذا معنى التوكُّل.

---

[1] لعل الشيخ يقصد سيارة بيجو (**Peugeot**).

فنحن نتوكل على الله ونطلب النصر من عنده، فالله -عز وجل- يعطينا بحسب ذلك والأمر له -سبحانه وتعالى- {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} ذكر الله كثيرًا، ذكر الله والاستمرار بكل أنواع الذكر، الذكر اللساني، وأهمها الذكر القلبي أن تكون دائمًا ذاكرًا لله بقلبك، والذكر باللسان باستمرار في الليل وفي النهار وفي كل وقت تسبيحًا وتهليلًا وأذكار الصباح وأذكار المساء أذكار النوم أذكار الدخول والخروج والشرب والأكل وكل شيء.

الذكر، يكون لسانك رطبًا بذكر الله، ليلك ونهارك وكل وقتك وعمرك عامرًا بذكر الله -سبحانه وتعالى- مملوءًا بذكر الله.

- الصبر والمصابرة والثبات على الطريق -من أهم الأسباب- لا بد نصبر ونصابر نمسك أنفسنا، نصبر ونصابر عدونا يعني نغلب عدونا بالصبر، ونثبت على هذا الدين وهذا الطريق لا يصيبنا الملل ولا الخَوَر ولا التردد ولا الضعف والوهن، نصبر ونصابر ونثبت على الطريق.

- تحقيق الولاء الإيماني -يعني الموالاة بين المؤمنين- وإصلاح ذات البين -ذات بين المؤمنين- أن يكون المؤمنون (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يَشُد بعضه بعضًا) كما قال ﷺ.

{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} ليس فيه خلل، وإصلاح ذات البين إصلاح القلوب بين المسلمين وتطابق القلوب والأخوّة الإيمانية، أن يكونوا إخوةً متحابين كما قال النبي ﷺ: (مثل المؤمنين في تَوادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوًا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى) هذا مثل المؤمنين، هذه صفتهم هكذا.

- إصلاح ذات البين {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} أصلحوا ذات بينكم، إصلاح ذات البين هي إصلاح ما بين المؤمنين أن يكون صالحًا، شأنهم الصلاح، المحبة، التوادد، التعاطف، التراحم أن يحب بعضهم بعضًا وأن يواسي بعضهم بعضا، ليس بينهم تدابر ولا شحناء ولا تحاسد -هذا والعياذ بالله- هذا مُفسد، هذا فساد ذات البين حينئذٍ يكون كما قال النبي ﷺ: (فإن

فساد ذات البين هي الحالِقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين) -فساد ذات البين بين المؤمنين- قلوبهم إذا فسدت وحصل التحاسد والتدابر والشحناء وتفرّق القلوب فإن هذا فسادٌ عظيم؛ لأن الرسول ﷺ يقول: (يحلق الدين) يعني: يُفسده، يذهب به بكُليَّة.

- حُسن الطاعة للأمراء والالتزام بالجماعة، واضح يعني قصة أُحد معروفة ومشهورة، هذا من أسباب النصر.

أما مخالفة أوامر الأمير وهكذا يؤدي إلى الفشل ويؤدي كما قال الله -سبحانه وتعالى-: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}.

- التواضع لله -سبحانه وتعالى- ولخلقه أيضًا؛ لأن الله أمر أن يتواضع بعضنا لبعض أن نَذِلَّ للمؤمنين.

التواضع وهو: ترك التكبر والترفّع والتعالي على الخلق -والعياذ بالله-، وإنما نفتقر إلى الله ونُظهر فقرنا إلى الله -سبحانه وتعالى-، ونذل للمؤمنين ونكون رحماء مع المؤمنين.

وحُسن الخلق عمومًا هذا من الالتزام بمحاسن الأخلاق وبالفضائل جميعها، وحُسن الخلق هو لفظٌ جامعٌ لكل الفضائل، قالوا العلماء: "كفُّ الأذى وبذْل المعروف" أن يكون الإنسان مُتصف بكل خُلقٍ حسن، بكل فضيلة طيبة صالحة، في كلامه، في موقفه، في عمله، في تعامله مع الناس، في كل شيء.

- من أسباب النصر المهمة، اجتناب الظلم والفساد؛ فإن الظلم يُفسد على المجاهد جهاده ويُفسد عليه النصر، وكذلك الفساد في الأرض.

والمجاهد إذا ملك السلاح وملك القوة تأتيه فتنة ظلم الخلق إن لم يكن معه دين وإيمان وتقوى ويخاف الله -سبحانه وتعالى- قد يظلم الخلق، وقد يفسد في الأرض؛ لأن عنده السلطان!

عليه أن يتقي الله -سبحانه وتعالى- وهذا داخلٌ في التقوى والعمل الصالح لكن نحن نفرده بالخصوص من باب التنبيه عليه، من باب ذكر الخاص بعد العام يعني.

- الدعوة إلى الله -عز وجل- تبليغ، ومعناها: أن يعلم المجاهد أنه داعية إلى الله، فهو المجاهد بجهاده، هو داعية إلى الله -سبحانه وتعالى- يدعو إلى دين الله، يدعو إلى تقوى الله -سبحانه وتعالى-، يدعو إلى توحيد الله، يدعو إلى الالتزام بطاعة الله -سبحانه وتعالى-، يدعو إلى طاعة الله عمومًا، يدعو إلى محاسن الأخلاق.

فهو داعية وحيث ما كان ينبغي أن يكون داعيةً، المجاهد داعية في سبيل الله.

النبي ﷺ عندما كان يرسل المجاهدين البعوث والسرايا والجيوش، يبعثهم لأي شيء؟ للدعوة، ويأمرهم ويوصيهم ويقول لهم افعلوا كذا وافعلوا كذا، ويقول لهم: يسروا ولا تعسروا على الناس، يسروا على الناس ولا تعسروا، وبشروا ولا تُنفِّروا، وافعلوا كذا ولا تفعلوا كذا، واجتنبوا كذا.

فالمجاهد هو في الحقيقة داعية إلى الله -سبحانه وتعالى- مُبلِّغ عن الله -عز وجل- معلم للناس.

(إنما بُعثتم مُيسرين) في لفظ، والنبي ﷺ يقول عن نفسه: (إن الله بعثني معلمًا ولم يبعثني مُتعنِّتا) الحديث في (صحيح مسلم).

فالمجاهد داعية إلى الله -سبحانه وتعالى- فيجب أن يستحضر هذا، ينبغي له أن يستحضر دائمًا أنه داعية إلى الله -عز وجل- وأن جهاده من أجل هداية الناس، أنه يجاهد من أجل هداية الناس، نحن نجاهد من أجل هداية الناس لا من أجل قتل الناس، القتل هو للضرورة، نحن نقتل الكفار؛ لأننا لا بد أن نقتلهم؛ لأنهم مُفسِدون طُغاة مُتجبرون يهجمون علينا وعلى المسلمين، ولأنهم يفسدون في الأرض ولأنهم قوة لا بد من إزالتها، فبالقدر الذي يناسب نحن نقاتل ونقتل ولكن الأساس هو أننا نريد للناس أن تهتدي.

ومن الخطأ هنا الذي يحصل عند المجاهدين أن يظنوا أن المجاهد هذا ليس داعية، المجاهد هذا محارب فقط ولا يدعو إلى الله!! ويتكلمون عن التبليغ والدعوة: هذا المجاهد تبليغ فقط!

لا ، المجاهد هو تبليغي أصلًا وأفضل تبليغي هو المجاهد، وأفضل داعية إلى الله -سبحانه وتعالى- هو المجاهد، والمجاهد ينبغي أن يكون داعية ويُبلِّغ الناس ويُعلِّم الناس ويُفهِّم الناس ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، هذي هي الدعوة وهذي وظيفة النبي ﷺ وأتباعه، فالدعوة والجهاد أخَوان، فنحن نقوم بالجميع، نقوم بالدين كله.

جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم، نسأل الله أن يفتح علينا وعليكم، نسأل الله –عز وجل– أن ينصرنا وأن يجعلنا من الفائزين المفلحين في الدنيا والآخرة، نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يرزقنا وإياكم حسن الختام.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عِصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشُنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادُنا، واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر.

اللهم إنَّا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العُلى أن تفتح علينا في العلم والعمل، اللهم ارزقنا تقواك وخشيتك في الغيب والشهادة يا رب العالمين.

اللهم إنَّا نسألك أن تنصرنا وأن تنصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللهم انصر المجاهدين في سبيلك في أفغانستان وباكستان وفي كل مكان.

اللهم اجعلنا من عبادك السعداء في الدنيا والآخرة، اللهم اختم لنا بخاتمة السعادة في سبيلك يا رب العالمين.

اللهم إنَّا نسألك أن تُفرِّج كروبنا وكروب المسلمين

اللهم إنَّا نسألك أن تستر عوراتنا وعورات المسلمين

اللهم إنَّا نسألك رضوانك والجنة

اللهم إنَّا نسألك الفردوس الأعلى في الجنة

اللهم إنَّا نسألك الفردوس الأعلى في الجنة

اللهم إنَّا نسألك الفردوس الأعلى في الجنة.

والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.